



Albaydha
Albaydha.sa

سلسلة
مقالات
نقدية

٤

الشريك المتفرد!

للدكتورة: جوزاء بنت مساعد السعدون

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.



احذر



احذر



احذر



احذر



مقال نقديّ لكتاب:



التناغم القدري

الكاتب:

ديباك شوبرا
Deepak Chopra

مُلحد رُوحانيّ هندوسيّ الأصل، وهو أحد
أبرز رموز الفكر الباطنيّ الإلحاديّ الحديث.



كثير من الناس يتطلع لمعرفة ما في المستقبل؛ حتى يسعى لتحسين حاله أو تطوير مهاراته، ليحصل ما ينفعه ويتجنب ما يضره، وبالإضافة إلى أن التطلع للمستقبل هي طبيعة في بني الإنسان إلا أن هذا التطلع -حتى يؤتي أكله- لا بد أن يكون مقرونًا بالأسباب الصالحة؛ من حرص على ما ينفع، وتخطيط دقيق، وترتيب أولويات... عملاً بوصايا النبي الحكيم ﷺ: [احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز...] رواه مسلم.

ومما يميز المؤمن عن غيره: رضاه بقضاء الله وقدره، فتجده سليم الصدر، مطمئن النفس، ثابت الجنان لكل ما يحصل له أو ما سيحصل، أما غيره فهو دائم القلق، يتجاوز تطلعه إلى ما سيحصل بعد ساعة فكيف بما تحمله الأيام والسنون؟!

وفي مقابل تلك الوصايا العظيمة النافعة من النبي ﷺ، نجد نزرًا ليس باليسير من الوصايا المشوهة والمشبوهة والتي مفادها: رفع شأن الإنسان فوق ما خلقه الخالق سبحانه، وذلك بزعم أن لديه قدرات خارقة ومواهب جبارة تمكنه من معرفة الغيب، وتكشف له ما قد ينفعه فيقتنصه، أو قد يضره فيدفعه!

بل إن الأدهى من ذلك والأنكى هو جعله شريكًا في تدبير الكون وإدارته والتصرف فيه مع بارئه تعالى؛ كتحريك الشمس والقمر، وإنارة النجوم، وتقليب الرياح، في صالح الإنسان ومنفعته، بواسطة أفكاره المجردة أو تركيزه على الأمور التي تُكسبها فاعلية وتزيدها نماء، وآخر هذه الشراكة الموهومة جعل هذا الإنسان متفردًا بأفعاله، وربط ذلك كله بسلسلة من الخرافات لا تنتهي!



وكان رائد هذا السبق المشئوم من يسمى (ديباك شوبرا)، وخاصة في كتابه (التناغم القدري) الذي تقوم فكرته على تسخير القوة اللامحدودة في الإنسان وفي الكون للتناغم معًا لصنع المعجزات!

يذكر (ديباك) أن الإنسان هو من يفعل ذلك ويصنعه، وفق تمارين وأفكار يطرحها في كتابه يتبين من خلالها قدرة الإنسان على تحقيق المعجزات والمستحيلات بالالتفات -أولاً- إلى نفسه ومعرفة أنها قبس من نور، بل أصل إلهي، مطلق لا نهائي كما في قوله: "التنوير هو الاعتراف بأنني إنسان مخلوق لا نهائي"^١، "الآلهة موجودة في داخلي وهي تعبر عن كل صفاتها وقواها من خلالي"^٢!... وزعم أن قدراته وإراداته الجبارة مطلقة لا يحدها شيء، يقول -مثلاً-: "إنه ذلك الجزء من ذاتك، إنه ذاك الذي يتجاوز أفكارك ومشاعرك اللحظية، ذلك الجزء الذي لا يتعب ولا ينام وغير قابل للانتهاء..."^٣، "أنت نبضة قلب خفاقة من الطاقة قادر على خلق ما تريد، أنت الساحر المطلق القدرات، القادر على إيجاد شيء من لا شيء، وأي شيء إلى لا شيء"^٤، "تصوّر أنك أبدي"^٥...

وبهذا يمجّد الإنسان ويقدّس ويُرفع إلى مصاف الربوبية -تعالى ربنا فيها عن المثل والشريك-.

ومع هذه القرارات الصريحة بالكفر وزعم التفرد لم يتخل (ديباك) عن ذكر بعض ما يعتقده أو يروج له كما في قوله: "أنت (كريشنا) الكيميائي الكوني

١ التناغم القدري لديباك شوبرا ص ٧٩.

٢ المرجع السابق ص ٢٤١.

٣ المرجع السابق ص ١٨٤.

٤ المرجع السابق ص ١٦٠.

٥ المرجع السابق ص ١٨٧.



القادر على الظهور بأي شكل تختار"^١، "أنت وأنا لا نملك الكارما ذاتها؛ إذاً ليس لنا الرغبات ذاتها، لقد أحببنا أناسًا مختلفين، وانحنينا لأضربة مختلفة، وصلينا على محاريب مختلفة، خاصيات الرغبة فريدة في كل منا"^٢... وهذا الترويج والتعديد بلغة ضعيفة، وأسلوب ركيك متهالك، استخدم فيه مؤلفه عبارات عليها بريق العلم^٣، وأساليب خيالية وهمية لصناعة حياة سعيدة، أبدية لا يتطرق إليها نقص ولا يتخللها كدر أو ملل، ولا يلحقها فناء...

فبدلاً من الأخذ بيد الإنسان؛ ليكون فاعلاً نافعاً لنفسه، مشاركاً في النفع لبني جنسه؛ يباع عليه الوهم وتُساق عليه الخرافة لتجعله شريكاً مع باري الكون ﷻ!

وهكذا في تسلسل من الخرافات لا حد له، لا يمكن لذي لب أن يقبلها، فضلاً عن كونه مسلماً.

شواهد الانحرافات العقدية من الكتاب:

إن الانحرافات في الكتاب يطول ذكرها ويصعب حصرها، لكن تكفي الإشارة إلى ما يدل على خطورة هذا الكتاب، وأعظم هذه الانحرافات وأشدها بشاعة هو:

١ التناغم القدري لديباك شوبرا ص ١٦٠.

٢ المرجع السابق ص ١٨٣.

٣ ديباك شوبرا هو في الأصل طبيب جراح، لكنه لم يخدم تخصصه الصحيح، بل جعل تخصصه خادماً لأفكاره الفاسدة.



❖ الجراءة على حق الله ﷻ في مقام الربوبية والألوهية:

فكثيراً ما يقرر (ديباك) في كتابه أن الوجود جوهر واحد وهو كامن في كل شيء، وعليه يستطيع الإنسان الظهور بأي تقمص يريد، وهذه العقيدة الإلحادية (وحدة الوجود) هي ما يقر بها ويسعى لتقريرها، فمن أقواله في هذا:

"العب بطاقتك الخلاقة متجلياً كأني شكل تريد... لتصبحن أي كائن تريد".^١

"إن جوهر وجودي هو الحقيقة المطلقة، إنه جذر الكون وأساسه، إنه مصدر كل ما هو موجود... فجوهر وجودي هو جوهر وجودك أيضاً وهو جوهر كل الكائنات".^٢

"إن الوعي الإلهي يمكننا من رؤية وجود الله في كل ما هو موجود".^٣

كما جعل إرادة الله -تعالى عن قوله- تابعة لإرادة الإنسان لا العكس: "بجعل ذاتك الدنيوية تنغمس في الذات الكونية فاسداً في المجال لإرادة الله أن يكمل ذلك من خلالك".^٤

ويقرر فلسفة (الكارما)^٥ الوثنية الإلحادية، ويزعم تصرفها في الكون وتكوين الإنسان: "تتراكم الكارما في الجزء الشخصي من الروح، وهي موجة تسكن

١ التناغم القدري لديباك شوبرا ص ١٦١.

٢ المرجع السابق ص ١٨١.

٣ المرجع السابق ص ٢٦٥.

٤ المرجع السابق ص ١١٠.

٥ الكارما تعني: قانون الجزاء، وهو قانون وثني مخترع، ومصطلح عقدي من أبرز معتقدات الديانات الوثنية، كالهندوسية والبوذية والسيخية، يزعم مخترعوه أنه قانون حتمي ياسب الناس على أعمالهم، ويجازي الإنسان على كل فكرة أو عمل يقوم به بالخير أو الشر!



جوهر وجودنا وتلونه، هذه الروح الشخصية تحكم ضميرنا وتقدم لوحة مواصفات وتحكم بنوعية وشكل شخصنا وكيف سنكون"^١.

ودون تدرج في الجراءة يصرح بالفاظ قبيحة في دعوى الإلهية: "أنت جوهر تجلي الآلهة، جوهر المسيح وبوذا... أنت الأم الإلهية"^٢ ... وكل الكتاب في تقرير شراكة العبد الذليل الحقير للسيد الكبير جل جلاله وتعالى وتقدس، الذي وسع بعلمه كل شيء، وعم بفضله كل شيء، وحده لا شريك له، فكيف تدعى الشراكة معه؟

❖ ويلى ذلك: التعدي على أصل الإيمان بالقدر؛ فالكتاب صمم خصيصاً لهدم

هذا الأصل، بطرق متعددة وأساليب متنوعة، فمنها:

١- السعي إلى ترسيخ قدرة الإنسان على صنع قدره الذي يريد، كما يريد، بالنية، والقصد، والأفكار المجردة عن العمل!

وشاهد ذلك من قول (ديباك): "نحن نشكّل قدرنا بيدنا بشكل واع"^٣، "تخيل بأن أفكارك تؤثر بالقوة الطبيعية للكون، بحيث تستطيع أن تجلب المطر وضوء الشمس والغيوم وقوس قزح"^٤، "كل ما علينا القيام به هو خلق القصد أو النية ومن ثم نترك الكون يتسلم المهمة"^٥، "تخيل قصدك ينظّم ويهندس

١ التناغم القدي لديباك شوبرا ص ٧٩.

٢ المرجع السابق ص ١٥٨.

٣ المرجع السابق ص ٢٨.

٤ المرجع السابق ص ٢٢٢.

٥ المرجع السابق ص ٢١٢.



نشاطات الكون اللانهائية ويوازن النظام البيئي بكليته"^١، "تخيل بأنك كائن إلهي طوعُ بنانه الأجرام السماوية"^٢، "العالم بكليته رهن إشارتك"^٣.

٢- تعظيم شأن الصدفة وإهمال أن الكون كله يجري بحكمة الحكيم العليم ﷻ، **يقول:** "للمصادفة دور كبير في تشكيل وإدارة حياتنا..."^٤، "تشاء المصادفات أن المعلومات في مقالٍ ما سيكون لها عظيم التأثير... يمكن أن نعزو ما يحصل لمجرد مصادفة"^٥.

٣- الاعتقاد بأن ترديد النغمات أو بعض الكلمات له فاعلية وتأثير في صنع القدر! وتحويل الأشياء من الذهن إلى الوجود الخارجي، فمن ذلك **قوله:** "إن أنشدت مانترا بصوت عالٍ فإن نمط ذبذبتها الخاص سيولد تأثيراتها الخاصة بها ويمكنها أن تولد أحداثاً في عالمنا المادي"^٦ ... "تشمل المانترا ترانيم تخلق ذبذبات خاصة، وأصوات كونية تخلق شيئاً من لا شيء، وهذا ينقل الطاقة من اللا ظاهر إلى الظاهر"^٧...

❖ الانحرافات المتعلقة بركن الإيمان بالرسول عليهم السلام، والمزاعم التي تذل به في الكتاب عديدة، منها:

١- زعم أن الإنسان له القدرة على صنع المعجزات بنفسه، **يقول:**

١ التناغم القدري لديباك شوبرا ص ٢٢١.

٢ المرجع السابق ص ٢٤٧.

٣ المرجع السابق ص ٢٨٥.

٤ المرجع السابق ص ١٨.

٥ المرجع السابق ص ١٩.

٦ المرجع السابق ص ١٧٢.

٧ المرجع السابق ص ١٧٤.



"التناغم القدري يفسح لك المجال لتجعل هذه المعجزات تتحقق، ودون حدود وبلا نهاية"^١.

٢- زعم أن الإنسان يتواصل مع الله مباشرة وأية مصادفة أو أمور غير متوقعة فهي رسائل من الله: "أنا يقظ، متيقظ للمصادفات، وأعرف أنها رسائل من الله، المصادفات هي رسائل من المجال الكوني، وهي دعوات لكسر العقود الكارمية"^٢.

٣- زعم إمكان الوصول إلى مرتبة الأنبياء والرسل (وهم المتنورون -على حد تسمية الروحانيين لهم)، وذلك أن آخر مرحلة يسعى الإنسان للوصول إليها هي الوعي الكامل والاستنارة، فإن أي إنسان يمكنه الحصول والوصول إلى هذه المرتبة -مرتبة الرسل- أو مشاركته فيها، وتسمى هذه المرحلة بالوعي الإلهي! **فيقول:** "إن الوعي الإلهي يمكننا من رؤية وجود الله في كل ما هو موجود... هذه ليست حالة ثابتة من الوعي، فالمرء يدخله ويخرج منه، ولكن معظم الأنبياء وذوي الرؤية عاشوا بحالة من الوعي الإلهي"^٣، "على المرء أن يبحث عن الحقيقة بداخله، عليه أن يقرع باب كينونته، وهذا ما يُعرف بالسليقة والإبداع، والرؤية والنبوءة"^٤...

٤- زعم أن لكل شخص صوتاً هادئاً ساكناً في داخله، وهو عبارة عن شكل من أشكال التواصل مع الغيب، **يقول:** "هل أصخت السمع مرة لذلك الصوت الهادئ الساكن البسيط العميق في داخلك؟ ذلك الصوت البسيط وذلك

١ التناغم القدري لديباك شوبرا ص ٢٥٩.

٢ المرجع السابق ص ٢٥٠.

٣ المرجع السابق ص ٢٦٥.

٤ المرجع السابق ص ٢٨٥.



الشعور القاطع ليس إلا أشكالاً من التواصل تستحق وتسترعي الانتباه"^١...
"اطرح هذه الأسئلة على نفسك وقلبك: من أنا؟ ماذا أريد من حياتي؟ ماذا
أريد من حياتي اليوم؟ ومن بعد؛ ارض وسلّم، ودع تيار وعيك وصوتك الداخلي
الأهدأ يقدمان الإجابات... يسعفنا إعطاء الكون لنا مفتاحاً أو بوصلة ضخمة
تشير إلى الاتجاه الذي يجب علينا اتباعه"^٢. وهذا الزعم إلى جانب كونه قادحاً
بخصوصية الأنبياء عليهم السلام بالوحي ففيه تقدير لشأن الوسواس
والخرافات.

❖ المخالفات المنهجية في منهج الاستدلال، والتلاعب بالمصطلحات
باستعمالها في غير سياقها:

ومن ذلك: التلاعب بالمصطلحات واستخدام ألفاظ مجملّة عامة تخفي
المعاني والمعتقدات الباطلة، والتي تخفى على كثير من الناس؛ كالتسليم
والنشوة، والكينونة، والمنح، والتحرر، والانعتاق، والاتصال، واليقظة،
والإدراك، والرقصة، والأنا... "أنت تجسيد التسليم الكلي"^٣، "سلّم نفسك
لنشوة الأحاسيس والروح"^٤، "أنت المانح والممنوح... عِش لهوَك كالطفل
من نور، وابتهج بكينونتك"^٥، "الهدف هو الانعتاق والتحرر من كل الأفكار

^١ التناغم القديري لديباك شوبرا ص ١٩.

^٢ المرجع السابق ص ١٤٤.

^٣ المرجع السابق ص ١٥٨.

^٤ المرجع السابق ص ١٥٩.

^٥ المرجع السابق ص ١٦٠.



بهدهوء وكمون"^١، "تتمكن من الاتصال بالروح بحيث يفسح العقل الدنيوي بالمجال للعقل الكوني، ويمكن من الوصول إلى ذلك المكان عبر التأمل"^٢...

وكل ما ذكره (ديباك) من مصطلحات لا تخدم القارئ في إصلاح أحواله، إنما تخدم السياق والموضوع الذي يتحدث عنه، وهو زعمه أن قدرة الإنسان الخارقة تستطيع تغيير الكون والتحكم بمجرياته، بسبب ما فيه من ألوهية يشارك بها الإله ثم يتفرد هذا الإنسان بهذا الكون والتحكم فيه...! تعالى الله عما يزعم علوًا كبيرًا..

❖ التطفل على العلوم التجريبية وبث المزاعم من خلالها:

وهذا الأمر يظهر كثيرًا في الكتاب، صحيح أن المؤلف طيب، لكنه يستخدم هذا العلم فيما يخدم أفكاره الفاسدة ويضفي عليها المصداقية، فمثلاً **يقول:** "كنت أتحدث لمريض مرة عندما شعر بألم حاد في معدته... لنكشف لاحقاً أنه في اللحظة ذاتها كانت أمه قد نُشلت وطُعنَت في معدتها... لقد كانا منسجمين في مستوى معين لدرجة أن فسيولوجيتهما كانت واحدة"^٣... ويذكر عددًا من التجارب الوهمية ثم **يقول:** "ومن هنا الاستنتاج بأن كل الخلايا الحية تحتوي على وعي خليوي وبإمكانها التواصل مع خلايا أخرى من نسيجها العضوي ومن مزالق أخرى حتى لو كانت بعيدة عن بعضها البعض"^٤...

^١ التناغم القدري لديباك شوبرا ص ١٧٠.

^٢ المرجع السابق ص ٢٠٢.

^٣ المرجع السابق ص ٦٣.

^٤ المرجع السابق ص ٥٥.



❖ التطفل على الشرع الحق:

وإفساده على أهله بمحو معانيه الصحيحة الكاملة ووضع معانٍ مختلفة بدلاً عنها، وذلك بـ (تحريف العبادات)، وتحريف المصطلحات الشرعية، وتحريف الألفاظ اللغوية... مثل: الصلاة، الرضا والتسليم، ومعنى التوحيد، **يقول:** "عندها تبدأ بالشعور بالثقة والحب والسماح والامتنان والرحمة والرضا هي كلمة واحدة: اللا فعل، فهكذا تبدأ تعمل الصلاة، يقول الشاعر (تينيسن): الصلاة مجلبة لأشياء لا يحلم بها العالم، ولكنها الصلاة غير المجبرة عنوة"^١.

"ضع الفكرة في حاضنة المجال الكوني واطرحها تنساب... هذا الرضا والتسليم يستلزم قفزة في عالم الإيمان وعالم المجهول..."^٢، "أن تكون واحدًا مع الله أي التوحد أو التوحيد، وكلمة إلهام أن تكون واحدًا مع الروح"^٣.

والكتاب مجموع صفحات مظلمة من الكفر والكذب والتدليس والخرافة، ومن بالغ العجب أن تسري على بعض العقول دون نكير! بل أن تردد ما فيه بكل نشوة ومتعة زاعمة أنه قد قدّم لها من النافع الشيء الكثير...

كما أنه يورث ويعمق في النفوس ضلالات وانحرافات عديدة، من أسوأها -مما يمس المسلم-:

١- الجراءة على دين الله تعالى، وعلى شرعه، وعلى كتابه وسنة رسوله ﷺ بالتحريف والتزييف للنصوص ومعانيها، والاستهانة بالشرع وتعاليمه، والتقليل من مرجعية المسلم إلى الوحي باختراع مرجعية جديدة له...

^١ التناغم القدري لديباك شوبرا ص ٨٠ . ١ .

^٢ المرجع السابق ص ١١٥ .

^٣ المرجع السابق ص ٢٨٩ .



- ٢- الاعتداد بالنفس والثقة بها، وفي المقابل التعالي على الغير وعدم التعاون في تبادل المنافع والخير بين الناس...
- ٣- الكسل والتقاعد عن العمل والاكتفاء بمجرد التفكير والتأمل دون بذل أو سعي للتغيير أو التطوير، وليس هذا وصف العاقل الذي يريد سعادته ونجاته، وليس هذا شأن أمة الإسلام الأمة العاملة الباذلة، إذ كان هاديها ﷺ يتعوذ من العجز والكسل كما في الحديث المتفق عليه، وكان يوصي ببذل الأسباب النافعة والتعلق قبل ذلك وبعده بمالك الملك ومدبره...

ولا يخلو من يأخذ بمثل هذه الكتب الواهية من أحد هذه الأمور -إن لم تكن كلها-، فيكون حين أراد الانتفاع ، وحين أراد إصلاح حاله وحل مشكلاته قد وقع في الخطر فصار كالمستجير من الرمضاء بالنار، بل ممن استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، نسأل الله تعالى العصمة والوقاية من الفتن ما ظهر منها وما بطن، والثبات على دينه حتى نلقاه، آمين.

*هذا المقال يعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا يمثل - بالضرورة - رأي الناشر